مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

مفهوم الوطن في شعر الفائزين بجائزة رئيس الجمهورية للشباب(*)

الباحث/ عادل محمد بن محمد حسن
قسم اللغة العربية كلية الآداب
جامعة تعز - اليمن

*) تاريخ تسليم البحث 13/9/2024 تاريخ قبوله للنشر 31/10/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

مفهوم الوطن في شعر الفائزين بجائزة رئيس الجمهورية للشباب

الباحث/ عادل محمد بن محمد حسن
قسم اللغة العربية كلية الآداب
جامعة تعز - اليمن

الملخص

يتناول هذا البحث مفهوم الوطن في شعر الفائزين بجائزة رئيس الجمهورية للشباب، حث شكل مفهوم الوطن ميزة وسمت قصائد الشعراء الفائزين بالجائزة مع تنوع في التجربة والتوظيف، إذ عاش الشعراء واقعًا مأزومًا شهد الوطن من خلاله تحولات سوداء، فاصطدم بصخور الضياع والتشتت والموت مما أضفى عليه معاناة جسيمة عكستها نصوص الشباب الفائزين بالجائزة والتي حملت مفاهيم عدة للوطن.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الوطن، الشعراء الفائزين، جائزة رئيس الجمهورية الشباب.

The Concept of Homeland in the Poetry of the Winners of the President's Award for Youth

Adel Mohammed Mohammed Hasan
Department of Arabic Language Faculty of Arts
Taiz University Yemen

Abstract

This research addresses the concept of homeland in the poetry of the winners of the President of the Republic Award for Youth.

The concept of homeland appeared distinctively, characterizing the poems of the award-winning poets, with a diversity in experimentation and employment.

The poets experienced a crisis-ridden reality, as the concept of homeland witnessed transformations through periods of darkness, characterized by the presence of loss, disintegration, and death.

This added a profound existential suffering, reflected in the texts of the award-winning youth, which carried multiple concepts of homeland.
Keywords: Homeland, Winning Poets, President's Award for Youth

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا النبي العربي أفصح من نطق بالضاد وأصدق من قال: "إن من البيان لسحرًا" وبعد:

فمن المؤكد أن الشعر ترجمةٌ للوجدان، وتعبيرٌ صادق عن أغوار النفس، وإفصاح عن كل ما يمر بحياة الإنسان من تجارب وأحداث، وتصوير ما يموج في المجتمع من أحداث، وما يدور فيه من صراعات، وما يحدث فيه من ازدهار، أو ركود في جميع مناحي الحياة؛ إذ لم يعد مفهوم الشعر في هذا العصر ينزع إلى الاهتمام بالتألق، والتأنق في التعبير، والعناية بضروب البديع، بل غدا ملاءمة بين الجمال الفني، وبين ذوق العصر النابع من واقع حياة الأمة وتفكيرها.

ولما كان الشعر ضرورةً ومطلبًا أبديًا –كما قال هازار(•)، ولأنه بعد كل أزمة يتعرض لها يعود حيًا من جديد، فقد كان هناك شعراء هدفهم من كتابة الشعر خدمة المجتمع في صورة جمالية موحية، من هؤلاء: الشعراءُ الفائزون بجائزة رئيس الجمهورية للشباب، حيث يمتلك الكثير منهم القدرة على اختراق جدار المحاكاة، والارتقاء بالقصيدة إلى أن تكون جزءًا من روح العصر، وإلى أن تحمل سماته، وتحولاته المدهشة، فـ"وعي الشاعر بمعطيات الواقع، والتزامه بالتعبير عن قضايا وطنه وأمته يكشف عن دفقات شعرية مكثفة ذوات بعد إيحائي أحيانًا، ونبرة خطابية أحيانًا أخرى، لكنها في الحالتين تتجاوز التعبير عن البعد الفردي إلى التعبير عن البعد الإنساني"(١).

لذلك ولأهمية هذا المقياس النقدي لوظيفة الشعر سعى الباحث إلى دراسة شعر الفائزين بجائزة رئيس الجمهورية للشباب، في الفترة ما بين (١٩٩٩م –٢٠١٤م)(٢)، دراسة تكشف عن مفهوم الوطن في تجربتهم الشعرية، وذلك لأنّ الجائزة وطنية تبنتها الدولة، ويتنافس عليها الشعراء الشباب، فثمة ما يدفعنا إلى التعرف على طبيعة الرؤية الوطنية في شعر الفائزين من حيث مفهومهم للوطن.

وقد تجسدت مشكلة البحث في شكل سؤال هو:

أينحصر مفهوم الوطن لدى الشعراء الفائزين بالجائزة في إطار المكان فحسب، أم إنهم يذهبون بهذا المصطلح إلى أبعد من مفهوم المكان؟

وقد فرضت المشكلة تقسيم البحث إلى مبحثين، عرف الباحث في **المبحث الأول** بالشعراء الذين تناولهم، ثم عرف بجائزة رئيس الجمهورية للشباب، ثم تناول مفهوم الوطن لغويًا واصطلاحيًا، وفي **المبحث الثاني** تناول الباحث مفهوم الوطن في شعر الفائزين بالجائزة، **وختم البحث** بخاتمة ضمنها أهم النتائج التي توصل إليها.

(•) هازار مفكر فرنسي وعضو الأكاديمية الفرنسية، ذكر ذلك في كتابه (أزمة الضمير الأوروبي) في فصل (زمن بلا شعر)، ينظر: مآلات الشعر العربي: هل غادر الشعراء من متردم؟، مجلة الفيصل، العدد ٤٧٩–٤٨٠، ٣١أغسطس/ ٢٠١٦م. https://www.Alfaisalmag.com.

(١) إبراهم نمر موسى، تجليات الوطن والثورة في شعر كمال ناصر، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، ١(٣٦)، (٢٠٠٩م).

(٢) خصوصًا وأن عام (١٩٩٩م) هو عام إنشاء الجائزة وتسميتها بجائزة رئيس الجمهورية للشباب واستمرت هذه التسمية حتى عام (٢٠١٦م)، حيث استبدلت تسميتها بجائزة الدولة للشباب من قبل حسن زيد رئيس مجلس أمناء الجائزة.

تعريف بالشعراء:

زين العابدين علي ناصر الضبيبي:

- شاعر وإعلامي من اليمن، من مواليد (١٩٩٢م) محافظة ريمة.
- بكالوريوس في اللغة العربية من جامعة صنعاء.

الجوائز التي حصل عليها:

- جائزة رئيس الجمهورية للشباب في مجال الشعر للعام (٢٠١٣م).
- جائزة شاعر اليمن الكبير الدكتور عبدالعزيز المقالح (٢٠١٥م).
- الأول على الجمهورية في مسابقة المراكز الصيفية للعام (٢٠٠٨م).
- جائزة وزارة الإعلام للأغنية الوطنية (٢٠٠٩م).
- الأول على الجمهورية في المسابقة الشعرية الطلابية (٢٠٠٩م).
- جائزة لينا للقصيدة الغنائية (٢٠١٠م).

صدر له:

- قطرة في مخيلة البحر، الأمانة العامة لجائزة رئيس الجمهورية، صنعاء، ط١، (٢٠١٣م).
- توق إلى شجر البعيد، دار الشروق: اليمن، ط٢، (٢٠١٧م).
- وديوان بالعامية تحت الطبع.

محمد أحمد حسن فقيه:

- شاعر وكاتب وقاص يمني من مواليد (١٩٧٩) في مدينة الحسينية محافظة الحديدة نشأ في الحسينية ودرس فيها.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وأمين سر المكتب الإقليمي باليمن.

صدر له:

- ديوان "هجير" في طبعته الأولى عن الأمانة العامة لجوائز رئيس الجمهورية باليمن (٢٠٠٩م)، ط٢، مركز عبادي للطباعة والنشر: عام (٢٠٠٩م).

له عددٌ من الدواوين الشعرية والمؤلفات الأخرى المخطوطة، منها:

- الرحمة المهداة ملامح من الرحمة المحمدية، بحثٌ في الشمائل المحمدية.
- أشجانُ الفجر مجموعة شعرية.
- تراتيل مجموعة شعرية.

الجوائز التي حصل عليها:

- جائزة رئيس الجمهورية اليمنية للشعر على مستوى الجمهورية للعام ٢٠٠٧م.
- جائزة مجلة مساء السعودية (آفاق صورة) لسبع مرات منها ثلاث مرات بالمركز الأول.
- جائزة أفضل قصة قصيرة في ملتقى التقوى الصيفي الأول – الحديدة ١٤١٩هـ.

مليحة علي الأسعدي:

- شاعرة وناشطة يمنية من خولان الطيال، ولدت في مدينة إب، حيث كان يعمل والدها سنة (١٩٨٥).
- بكالوريوس لغة عربية، جامعة صنعاء، (٢٠٠٧م).
- ماجستير في علم اللغة الحاسوبي، جامعة صنعاء.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو تجمع شعراء بلا حدود، وعضو بيت الشعر اليمني، وعضو مؤسس في منتدى فكر وثقافة وإبداع، وعضو مؤسس في تحالف صحفيين وناشطين من أجل التغيير والحرية، ورئيسة مركز وجوه للثقافة، والتراث.

الجوائز التي حصلت عليها:

- درع سفارة دولة الكويت في اليمن للإبداع الشعري، (٢٠٠٦م).
- المركز الأول في الشعر العربي الفصيح عن جامعة صنعاء، (٢٠٠٦م).
- جائزة رئيس الجمهورية للشباب في مجال الشعر (٢٠٠٨م).
- درع المركز الثقافي السوري بالعاصمة صنعاء، (٢٠٠٩م).
- المركز الثالث على مستوى الوطن العربي في استفتاء حول خنساء الشعر العربي المعاصر، (٢٠٠٩م).
- درع وزارة السياحة لمشاركتها في مهرجان صيف، (٢٠١٠م).

صدر لها:

- هوية امرأة، وزارة الثقافة والسياحة: صنعاء، ط١، (٢٠٠٦م).
- نوافذ الصمت، دار عبادي للدراسات والنشر: صنعاء، ط١، (٢٠٠٩م).
- حين ينحني العطر، الأمانة العامة لجائزة رئيس الجمهورية للشباب، صنعاء
- هكذا حدثني الغيم، ماريا للنشر والتوزيع: ط١، (٢٠٢٠م).

يحيى الحمادي:

شاعر يمني من مواليد عام (١٩٨٥م) محافظة تعز.

صدر له:

-عام الخيام، الناشر المؤلف: (٢٠١١م).
- رغوة الجمر، عن جائزة عبدالعزيز المقالح للإبداع الأدبي، (٢٠١٢م).
- حادي الربيع، المؤلف، ط١، (٢٠١٣م).
- الخروج الثاني من الجنة، الأمانة العامة لجائزة رئيس الجمهورية، ط١، (٢٠١٣م).
- نحت في الدخان، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر: القاهرة، (٢٠١٩م).
- اليمن السعير، مؤسسة شعراء على نافذة العالم للثقافة والإبداع: ط١، (٢٠١٩م).
- بانتظار القميص، ديوان تحت الطبع، فائز باستفتاء رابطة شعراء العرب، والتي شارك فيها أكثر من مئة شاعر عربي، وسيطبع عن دار الرابطة للنشر والتوزيع.

الجوائز التي حصل عليها:

- جائزة عبدالعزيز المقالح للإبداع الأدبي (٢٠١٢ م).
- جائزة رئيس الجمهورية للشباب للعام (٢٠١٣م).
- المركز الأول في البرنامج التلفزيوني الشعري "صدى القوافي" الذي بثّته الفضائية اليمنية (٢٠١٤م).

جائزة رئيس الجمهورية:

في العام (١٩٩٩م)، تأسست جائزة رئيس الجمهورية للشباب بقرار جمهوري، كأول جائزة حكومية في اليمن تهدف إلى تشجيع المبدعين الشباب في مختلف مجالات العلوم والآداب والفنون، ودعمهم ماليًا ومعنويًا، واستمرت الأمانة العامة للجائزة التي تتبع وزارة الشباب والرياضة بتقديم الجوائز وفتح باب التنافس عليها للشباب من كافة المحافظات اليمنية حتى (٢٠١٥م)، وهو العام الذي تعذرت فيه إقامة أية فعالية تخص الجائزة بسبب اشتعال فتيل الحرب في البلاد.

وخصص القرارُ الجائزةَ لمن هم دون (٣٠) عامًا في تسعة مجالات هي: القرآن الكريم وعلومه، والشعر، والقصة، والنص المسرحي، والفن التشكيلي، والعلوم التطبيقية، والعلوم الطبيعية، والغناء، والموسيقى، بالإضافة إلى تشكيل لجنة خاصة بالجوائز من الجهات المعنية سُمي فيما بعد بمجلس أمناء الجائزة.

وحددت القيمة المالية للجائزة على المستوى النهائي بمبلغ مليون ريال يمني لكل مجال من المجالات السبعة هي: القرآن الكريم وعلومه، الشعر، القصة، النص المسرحي، الفن التشكيلي، الغناء، والموسيقى، فيما تبلغ قيمة الجائزة في مجال العلوم التطبيقية مليوني ريال يمني ومثلها في مجال العلوم الطبيعية، فضلًا عن حصول الفائزين بالجوائز على شهادة تقديرية ممهورة بتوقيع رئيس الجمهورية، كما تقوم الأمانة العامة بطباعة ألف نسخة لكل عمل فائز بالجائزة على المستوى النهائي، فضلًا عن إعطاء الفائزين الأولوية لتمثيل اليمن في المحافل الخارجية كلٌ في تخصصه.

مفهوم الوطن لغةً واصطلاحًا:

يقال أوطن الأرض ووطّنها، أو استوطنها، أي اتخذها وطنًا، والوطن محل إقامة الإنسان، ولد به أو لم يولد"[(١)]، وهو مفهوم تشترك فيه جميع الأمم، وكيان يفرض وجودًا راسخًا على الفرد المنتمي الذي يشعر أن مشكلاته لا تتجزأ، ولا تنفصل عن مشاكل أفراد المجتمع الآخرين"[(٢)]، وهذا المعنى يقترب من معنى الوطن في الفكر السياسي الذي يرى أن الوطن الجماعة المتفاعلة مع الأرض لغة، وتاريخًا، وعادات.."[(٣)]، لذلك نلحظ أن الوطن أخذ ينحو منحيين، **الأول** غايته العموم، إذ الوطن في هذا المنحى هو حصة المشتركين جميعًا في الانتماء إلى أرض محددة ويتشكل في ضوء المفاهيم الجغرافية والتاريخية والسياسية، والوطن في هذا البعد هو ما يحدده جنسية الفرد،

(١) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري، ومقاييس اللغة لابن فارس، ومختار الصحاح للرازي، مادة (وطن).

(٢) إبراهيم مصطفى الدهون، المضامين الوطنية في شعر الدكتور أحمد السالم، جامعة الجوف، السعودية، مشروع بحثي رقم: (٣٢٧-٣٥)، ٢٤٤٢.

(٣) عجيل جاسم النشمي، التأصيل الشرعي للمواطنة والانتماءات القومية، والعرفية والدينية، دون (د. ت)، (د. ط)، ٣.

ويمكن أن نطلق عليه (الوطن العام)، أما **الآخر** فغايته الخصوصية، إذ تحدده العلاقة الوجدانية الحميمية بين الإنسان، وما تنتمي إليه ذاته، وهذا هو الوطن الخاص (الوطن الذات)[١]، والذي تبلورت من خلاله كلمة المواطنة، والتي تعني "حب الوطن، والوفاء له، والتضحية في سبيله"[٢].

والوطنية التي تأتي إطارًا فكريًا محيطًا للمواطنة تعني ممارسة تعكس حقوق الفرد، وواجباته تجاه مجتمعه ووطنه، بالإضافة أنها عملية فكرية متعددة الأبعاد تحتوي على دلالات سياسية، واجتماعية وأخلاقية، وثقافية، وهي مفهوم إنساني شامل"[٣].

مفهوم الوطن في شعر الفائزين بجائزة رئيس الجمهورية للشباب

من الصعب جدًا الإحاطة بالمفهوم الذي يضم بين كلماته معنى الوطن، فالوطن يختلف مفهومه عند من ينعم بالحقوق، والمنافع الوطنية، ولم يواجه الصعوبات، أو المنغصات في عيشه، عنه عند من يفكر ليل نهار في الحصول على الحاجات الأساسية من مأكل وملبس ومأوى، يختلف مفهوم الوطن في دولة لا تفكر في أساسيات عيش أبنائها، عنه في دولة تتحمل فيه الحكومة مسؤولية مستوى المعيشة، والبحث عن وسائل الرفاهية لأبنائها، بل يتغير مفهوم الوطن عند الإنسان من فترة إلى أخرى.

فهذا الشاعر يحيى الحمادي يقارن بين (يمن) اليوم، و(يمن) الأمس في قصيدة (مأساة سهيل اليماني)، حيث يقول فيها:

سهيل هان على من كان سيده

فكيف يرفع رأسًا سيدٌ هانا!

سهيل كان بعيدًا عن قذائفنا

فكيف أصبح قتلانا وجرحانا!

وكيف صار غريبًا وهو والدنا

وجدّنا، وهو والينا ومولانا

وكيف بعد نجاة الكون أجمعه

سهيل أصبح للبارود خزانا؟!

سُهيل أصبح يمشي حافيًا وعلى الـ

(١) كريم مهدي المسعودي، الوطن في شعر السياب (الدلالة والبناء)، دار صفحات للدراسة والنشر، دمشق، (٢٠١١م)، ٢٢.

(٢) إبراهيم مصطفى الدهون، مرجع سابق، ٢٤٤٢.

(٣) عبدالعزيز الشريدة، صناعة المواطنة في عالم متغير؛ رؤية في السياسة الاجتماعية، بحث مقدم للقاء الثالث عشر لقادة العمل التربوي، الباحة، (١٤٢٦هـ)، ٥.

دُروب يعطس أضراسًا وأسنانا

وصار يمسح نعل الغاصبيه ولا

يريد رضاهم عنه رضوانا

سهيل ليس مجازًا... إنه يمنٌ

بين ابن ... مُلقى وابن ...

يا معشر الجنَّ إنا لائذون بكم

من عالم صار فيه الناس ذُؤبانا

إخواننا فيه جاروا في محبتنا

فضاعفوا البؤس بعد الرطل أطنانا

كنا حُداة الثريا والثرى ولنا

بين السماكين قطبٌ كان رحمانا

لا ندعي الفخر... إنا من إذا ذُكروا

رنا إلى الأفق مزهوًا وحيّانا

نحن الذين اجتذبنا العيش لا صلفًا

ولا أذىً واجتذبنا الموت شُجعانا

ما بالنا اليوم خلف الرّس موكبنا

مُعطلٌ وهُدانا خلف ...[1]

فالوطن هو ذاكرة الماضي التي يحيا الآباء والأجداد بها، وهو ذاكرة الحاضر التي نحيا بها، ونسعى من خلال أخذ جميل الماضي، وترك قبيح اليوم للوصول إلى المستقبل الزاهر الذي يحلم به الأبناء حلم أفلاطون بالجمهورية المثالية، وحلم الفارابي بالمدينة الفاضلة، وحلم جبران بالبلاد المحجوبة، وحلم نازك الملائكة بيوتوبيا الضائعة.

فللوطن في القصيدة مفهومان: **مفهوم وطن الأمس**/ وطن الآباء والأجداد، وهو المكان الذي وهب أبناءه العزة والكرامة والحرية، والأمن والاستقرار، فبادلوه بحقوقه تجاههم، وحافظوا على سيادته، وأمنه وشموخه، فصار بهم البيئة السعيدة والملاذ الآمن، أما **مفهوم الوطن اليوم** فهو المكان الذي أهدر كرامة اليمني، وسلبه حقوقه، وصار أنموذجًا للقتل، والخراب وساحة للحرب، ومخزنًا للبارود، وهو المكان المغرب بعد أن كان الملاذ الآمن، و(اليمن السعير) بعد أن كان (اليمن السعيد).

(١) يحيى الحمادي، قصيدة (مأساة سهيل اليماني)، نشرها في موقعه في الفيس بوك في (٤/٢٠٢٠م).

ويتضح مفهوم الوطن أكثر في رؤية الحمادي في قوله:

أنا وطني الذي أهواه

ليس حكاية تروى

لـ(أروى) أو لـ(ذي يزن)

ولا بحناجر نشوى

بعزف نشيده الوطني

ولا بمناظر التلفاز

من صنعا ومن عدن

وأسقط بعدها سهوا

من المثوى

إلى المثوى

أنا وطني الذي أهواه

إن ناديتُ ياااا وطني

جرى كالماء في بدني

سرى كاللحن في أذني

وكان المنَّ والسلوى

وكان لرأسي المأوى"[(١)]

فالوطن في رؤية الشاعر ليس قصصًا وحكايات، وليس شعارات وهتافات، أو إيقاد شعلة في يوم عيد، بل الوطن هو الأمان والاستقرار، والحقوق والحياة الكريمة الحرة، وهو المكان الذي تُسخّر ثرواته خدمةً لأبنائه، ويحس فيه المواطن بأن له حصة من خيره، ولا يشعر فيه بالظلم والتهميش.

ولعله بهذه القصيدة ينتقد حكومات الشعوب العربية التي لم تلتزم بالحد الأدنى من الأخلاق الوطنية، إنما جلّ ما اعتمدت عليه توظيف المفهوم الوطني لخدمة مصالحها، واستمرار سيطرتها على البلاد والعباد، ولم يكن شعارهم يومًا: (نعيش كي يحيا الوطن)، بل كانوا يتلذذون بهتاف شعوبهم (نموت كي يحيا الوطن)، والوطن الذي يقصدون هو الوطن المتلبس بشخصية الحاكم، والذي من أجله تُراق الدماء، وتوهب الأرواح، وتنفذ الواجبات، أما الحقوق فالمساءلة عليها في أيديولوجياتهم دمارٌ للوطن/ الحكام.

(١) يحيى الحمادي، ديوان: عام الخيام، ١٠١.

ولا يختلف مفهوم الوطن اليوم في رؤية الشاعرة سعاد الحدابي عن رؤية الشاعر يحيى الحمادي، فهو ساحة حرب، وكل ثرواته يأكلها الغريب فـ(الموانئ صودرت)، و(النفط صار لغيرنا، وللشعوب بها الكبد)، بل(تائه بين التشرد والبدد)[١].

فـ(يمن) اليوم في رؤية الشاعرة سعاد الحدابي مكان الخوف، والجوع والفقر، والتشرد، والموت والانقسام، إنه نموذج الشتات والاغتراب.

وهذا المفهوم تكرر – أيضًا عند الشاعر زين العابدين الضبيبي في قوله:

هنا وطنٌ يجوع بنا ويعرى

وشعبٌ لا استراح ولا استقرا

تُقلبه الحروبُ على لظاها

ويطمسه العنا سطرًا فسطرا[٢]

هذا هو مفهوم الوطن اليوم، لذلك تجد الشاعر مشدودًا إلى اليمن التاريخ، يمن الآباء والأجداد:

أنا عائدٌ لحضارة الأقيال

للمجد العظيم يفوح

في قلب البلاد الحميرية

لا أنتمي إلا إليها وحدها[٣]

فالشاعر يجرد وطن اليوم من كل الإيجابيات، ويحن إلى وطن الحضارة، فالوطن عنده هو الصانع للحضارة، والعزة والكرامة، ويرى أن هذا المفهوم لم يتحقق إلا في القديم.

ورغم تعدد مفاهيم الوطن في رؤية الشعراء إلا أن الشعور بالانتماء للوطن عملية تراكمية تنشأ مع الإنسان في كل مراحل عمره التي عاشها على تراب الوطن، تاركًا في كل مرحلة ذكريات ومواقف، وهذا الشعور ينمو في الإنسان وإن واجه التعسف والظلم، والإقصاء من الوطن/ الحاكم:

نفـاني يا رياحُ ويا مرافي — نفاني وهو يقطن في عروقي

وكم عمرًا بررت به وعُمري — على شفتيه يشهد بالعقوق

ولكنـي أُحبُّ وكُـلُّ حُبٍّ — كريمٌ...لا يُفكّرُ بالحقوق[٤]

وكأن الشاعر يريد أن يقول مهما تغير مفهوم الوطن، لكنه يظل المكان الذي أكن له كل الحبّ، فالوطن ليس النظام المستبد الظالم، إنما هو الانتماء لأرض الآباء والأجداد، إنه سرّ الحياة كما تقول الشاعرة سعاد الحدابي:

---

(١) ينظر: سعاد الحدابي، قلوب لدى الأرصفة، ٩٨.

(٢) زين العابدين الضبيبي، من قصيدة نشرها في موقعه على الفيس بك، (٢٠٢١/٧/١٧م).

(٣) زين العابدين الضبيبي، من قصيدة نشرها في موقعه على الفيس بك في (٢٠١٥م).

(٤) يحيى الحمادي، ديوان: الخروج الثاني من الجنة، ٩٧.

ربما أنسى مُنى روحي وأحلام

الدُّجن

غير أني لستُ أنساها على مرِّ

الزمن

إنها مهجة قلبي

إنها

أمي اليمن(١)

وتقول الشاعرة سعاد الحدابي – أيضًا في قصيدة (وطن):

يا راحلًا تلك البلاد منىً لنا

أترى حنين الشوق يخلو من وطن

إني أتيتك من مغاربها التي

خبأت مرائي الشوق في جفن الوسن

أنا في المغارب إنما قلبي لها

يا راحلًا في منتهى الأصقاع حنْ

نُقشت بقلبي عين صنعا إنما

دقاتُ قلبي للحبيبة لي عدن

تعز الجمال على رُباها قصة

المجد وشمٌ في رباها والحزن

معشوقة الغيم الضنين إذا دنا

مسكونة بالوجد عانقها الشجن(٢)

حب الوطن عظيم لا يقبل النفاق، كيف لا وهو الحضن الذي يجمع الأهل والأحبة أحياءً وأمواتًا، فالشاعرة غريبة في بريطانيا، حيث الأمن والحقوق، والحريات، لكن روحها وقلبها معلقان في بلدها (اليمن)، حيث الفقر، والجوع والشتات، لكن (وجدنا الناس بأوطانهم أقنع منهم بأرزاقهم، ولذلك قال ابن عباس: "لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبدٌ الرزق، وترى الأعراب تحنّ إلى البلد الجدب، والمحل الفقر والحجر الصلد"، بل "قيل لأعرابي كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ، وانتعل كل شيء ظله، قال وهل العيش إلا ذاك، يمشي أحدنا

(١) سعاد الحدابي، ديوان: قلوب لدى الأرصفة، ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ٩.

ميلًا فيرفضُ عرقًا، ثم ينصبُ عصاه ويلقي عليها كساءه، ويجلس في فيئه يكتال الريح، فكأنه في إيوان كسرى"(١)، فعشق الوطن يولد بشكل فطري مع الإنسان(•)، وهو حب لا يمكن أن يتبدل أو ينتهي مهما عصفت به الريح، ودحرجته الأمواج:

و آااه يا موطني

يا حبيبي الذي سكنته المواجعُ

يا قبلتي في صلاة التمني

ويا وجعي الطاعن السحر

إني أحبك(٢)

إنه الوطن العشق الخالد، مهما تجرع أبناؤه الويلات فسيظل الحب العظيم؛ لأنه الوطن المكان، والتاريخ والانتماء، والهوية، وهو الإنسان، والحنين والوفاء والتضحية، وليس الوطن/ الحاكم المستبد الغاشم، لكن لا يتجسد حب الوطن بخطاب يذاع على قناة الحاكم، بل بسواعد أبنائه يزدهر ويتطور، وبالحفاظ على مقدراته، والدفاع عن كل شبر فيه.

عزة الأبطال أرباب النضال ولهيب الثأر في حد النصال

ورجال الحرب آساد الشرى سابقوا الموت على تلك الجبال

علمونا أن للأوطان في ذمّة الأحرار عهدًا لا يزال

نقشوا التأريخ في محرابها وعلى شمّ رواسيها الثقال(٣)

مثل هؤلاء الرجال تليق بهم معاني الوطنية المتجسدة بالحب، والولاء والتضحية والاعتزاز بالوطن؛ وهذا يفسر لنا الفرق بين المواطنة والوطنية، فليس كل مواطن وطني، فقد تنال حقوقك وتؤدي واجبك تجاه وطنك، لكن لا تليق بك معاني الوطنية، ونجد صور أمثال هؤلاء في قصيدة (في باب غرفتها) للشاعر زين العابدين الضبيبي، حيث تحولت المرأة من هيام الجسد إلى هوى الوطن، فالشاعر وحّد المرأة والوطن من خلال ألفاظ تتجه في ظاهرها نحو المرأة، لكن ما إن تتعمق في النص حتى ترسو على قاعدة هي: حب الوطن؛ وعملية التمازج بين المرأة والوطن هي ظاهرة بارزة عند الشعراء منذ العصر الجاهلي، وما بكاء الأحبة، والوقوف على الأطلال عنّا ببعيد، لكن الشعراء المحدثين والمعاصرين عمّقوا من عملية التمازج حتى بلغت درجة التوحد، وهنا سؤال يفرض نفسه علينا هو: ما العلاقة بين المرأة والوطن؟

---

(١) ينظر: الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، دار الرائد العربي، بيروت، ٢، (١٩٨٢م)، ١٠-١٧.

(•) وهنا نتذكر أحمد شوقي القائل: وطني لو شغلت بالخلد عنهُ *** نازعتني إليه في الخلد نفسي بل إن عودته إلى وطنه تشبه العودة إلى سن الشباب فهو القائل: ويا وطني لقيتك بعد يأسٍ *** كأني قد لقيت بك الشبابا.

(٢) مليحة الأسعدي، ديوان: هكذا حدثني الغيم، ٢١.

(٣) سعاد الحدابي، ديوان: قلوب لدى الأرصفة، ٤١.

كلاهما رمزٌ للحياة والخصب، وكلاهما سكن للإنسان، والدفاع عنهما شرف عند الرجل ولا سيما العربي، وما وأد المرأة في المجتمع الجاهلي إلا حفاظًا على كرامتها كي تبقى في منأى عن انتهاك الشرف.

لذلك فالدفاع عن الوطن دفاع عن المرأة/ السكن/ البيت/ الشرف، والدفاع عن المرأة هو دفاع – أيضًا عن الوطن/ البيت الكبير، لذلك علينا أن نُعلم أبناءنا أن الوطن أمّ، والأم لا تُخان:

مر من باب غرفتها شاعرٌ عاطلٌ

وهو يتلو الذي بان من سحرها

ملء سمع المدى،

راسمًا بالبنفسج صورتها، في سطور القصيدة

حتى نمت فوق أهدابها وردةٌ

وردتان

وحلم بأجنحةٍ من حنين، ومن لهفةٍ وانتظارٍ

سيأتي غدًا!

غير أن الذي جاء

كان اسمها في الجريدة

مر من باب غرفتها ساردٌ

فاردًا عنق هاجسه

بالتأمل في شرك الحبكة المرعبة

مر ثانيةً

وتفرس في الباب مبتسمًا

كاد يوقعها في شباك الحكاية

أو ربما...

كاد لكن

تثاءبت الحلوة المتعبة

كان مرتبكًا حينها

فغفا مثل نصٍ قديمٍ

على ورق المكتبة

مرّ من باب غرفتها

عاشقٌ يتخبط،

في كفه غيمةٌ وربيعٌ

وحبٌ فرات

خانها الصبر

وانحطمت في مدار اشتهاءاتها

ناطحات الثبات

لأن بداخلها غابةً

جف أجملها

والصحارى تهم بها

من جميع الجهات

مرّ من باب غرفتها

تاجرٌ للحرير،

فاستعارت دواليب جيرانها

لتخبئ حاجتها

فتراقص من فوقها

موكبٌ للعبير

آااااه لكنه لا يفكر بالحب

إن الحياة بعينيه مالٌ

وجاريةٌ في السرير

حين تشبع كأساته

من نبيذ مفاتنها

سوف يلقي بها

في السعير

مرّ من باب غرفتها فارسٌ

بجوادٍ كسيحٍ

وقلبٍ جريح

وهي تدرك أن ابتسامتها

طب هذا الهرقل الذبيح

ذرفت كل أدمعها حسرةً

وهي تذكر عنترها

فتداعت نوافذها

من غبارٍ وريح

مرّ من باب غرفتها عسكريٌ

نياشينه تحجب الشمس

يفتل شاربه

ويلمع جبهته

بلآلئ أوهامه المالحة

شاهرًا في عيون "الحزينة"

أدهى مخالبه الجارحة.

ولكنها انفجرت ضحكًا

حينما علمت

أن لصًا

تعشى بمطبخ منزله البارحة

وحلى بتفاحتين

مرّ من باب غرفتها واعظٌ

بجنودٍ مجندةٍ وخيولٍ محجلةٍ،

دهست زهو حنائها

بحوافر فتوىً يقال: سماويةٌ

لم ترد في كتاب السماء؛

فعمَّدها بالدماء.

فكرت

ما الذي سوف يحدث لو قال مارد عزّتها المتمرد

للبربري المدجج بالموت: لاااا

حين خاتلها بـ"حديث الرواة"

ليقذفها في جحيم خرافاته؟

قاومت

لم تسلم له عرشها

أحرقت كل تاريخه بفتيل من الكبرياء.

مرّ من باب غرفتها

عاملٌ للنظافة

كان أصدقهم في المحبة

أبعدهم عن ضباب الخرافة

فبكت ليلةً

ليلتين،

ولحظتها أدركت

أن كل احتياجاتها في الحياة

إضافة(١)

الشاعر يستدعي الأنثى قناعًا لبلده ثم يستدعي خمسة نماذج: الشاعر، والسارد، والعاشق، والتاجر، والفارس بجواده الكسيح، والعسكري ذا النياشين، والواعظ الزائف، وعامل النظافة، فالشاعر من خلال القصيدة لم يقدم لوطنه شيئًا سوى الوصف لما بان من سحرها، مشيِّدً ببنيانها ومشاريعها، وخططها المستقبلية في سطور قصيدته، أما في الواقع فلم يقدم لها شيئًا، وكذلك السارد، لكن لا يعني الضبيبي كل شاعر وكل روائي؛ لأن الأديب في رؤية الضبيبي يجب ألا يلجأ إلى القلم من أجل أن يسرد ما يحصل، فهذا أمر لا يفيد شيئًا، فالنضال الأدبي يجب أن يتناول قضايا، ويربطها بحركة الصيرورة التاريخية، وتفاعل الإنسان مع حقائق الواقع المعيش، وإلا فلا معنى لنضاله ولا دور يحسب له.

أما العاشق وإن كان يحمل في قلبه حبًا لها وفي كفه غيمةٌ وربيع وحب فرات لكنه متخبط في حبه لذلك لفّتها الصحاري من كل الجهات، وهذا حال من يدعي الوطنية ويتظاهر بها، لكنه لا يلتزم بما عليه من واجبات تجاه وطنه، بل يتطاول على ممتلكات الوطن والحق العام.

ثم يمر من باب غرفتها تاجرٌ للحرير فاستعارت دواليب جيرانها آملة بالتقدم الاقتصادي والازدهار والعيش في خير ورخاء وسعادة، لكنها وجدته نموذجًا للأنانية والشح، وتقديم مصلحته على مصلحتها، فمفهوم الوطن عنده: الحصول على المال على حساب الأرض والعرض.

حتى العسكري ذو النياشين، وصاحب الشارب المفتول الموحي بالشجاعة والإباء وضبط الأمن لم تؤمل في تقديمه النفع لها؛ لأن (لصًا تعشى بمطبخ منزله وحلى بتفاحتين) إيحاءً بخيانته ونذالته، فاللص معادل رمزي للأجنبي الذي مكنه هذا العسكري من استباحتها.

كذلك واعظ الحاكم المدعي أنه الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، لم يقدم لها سوى الفَتَاوي الباطلة الداعية لإثارة الفوضى، وإراقة دماء الإخوة؛ لأنه يعمل لحساب الطغاة، أما الواعظ الحقيقي فهو مرمي في ظلمات السجن.

(١) زين العابدين الضبيبي، ديوان: توق إلى شجر البعيد ٧٣-٨٠.

ومر من باب غرفتها عامل النظافة فوجدته نموذج المحبة الصادقة حينها أدركت أنه الوحيد الذي يحمل الحب الصادق لها، وأن الانتصار يكون للمواطن البسيط الذي يتحمل أذى الجميع، فما تساوى الحقوق التي تُمنح لعامل النظافة أمام الواجب الذي يؤديه وما يساوي راتب الجندي أمام المهام الموكلة إليه؛ حقًا الفقراء ينالون شرف الدفاع عن الوطن والاستشهاد من أجله، أما الأغنياء فينالون شرف الحياة الكريمة.

حب الوطن عند الشاعر لم يكن نهجًا تقليديًا، بل خرج عن دائرة الحنين والشوق، ومناجاة مواطن الذكريات، لذلك وجدنا صورًا ذوات دلالات أصيلة تحمل بصمة الشاعر في قراءته لمفهوم الوطن، لكن يظل النهج التقليدي في التعبير عن حب الوطن يفرض نفسه على كثير من الشعراء أمثال الشاعر محمد أحمد فقيه وذلك في قوله من قصيدة (سدرة المجد):

هنا استفاقت رؤى التاريخ أين أنا..؟!! هنا حبيبة كلُّ الفخر يكتملُ..

ماذا هُنا..؟!! يمنٌ في الساح منطلقٌ ووحدةُ الأرضِ تحنو دُونها المقلُ

فوحدةٌ في زمان التيه تُنقذنا.. من رتبة الذّلِ.. إذ ضاقت بنا السُّبلُ

ووحدة الشعب تاريخ يؤسطره مدادُ ضوئك.. مضروبٌ به المثلُ

يا معقل المجدِ تاريخًا وأزمنةً ومن مدادك خطّ الدّهرُ ما فعلوا

هُمُ اليمانون في الساحات إن وثبوا.. فليس يحجزهم بحرٌ ولا جبلُ..!!

هُمُ اليمانون تاريخٌ لهم عجبٌ..!! واسأل..إذا شئت – تاريخًا لهم جللُ..

من كأسهم يرقصُ التاريخُ منتشيًا.. وإن تنادوا.. صحا من سُكره الثمل

تجشموا الهول ما انهالوا عمالقةً حتى تطاول في قاماتهم زُحلُ

من نسلهم نحنُ.. يا تاريخُ مُدّ لنا جسرًا إلى سالف الأمجاد يتصلُ..[1]

إن من يقرأ هذا النص يدرك أن التاريخ لم يستجب للشاعر، ولم يمدنا (بجسر إلى سالف الأمجاد يتصلُ)، فبين (يمن التاريخ)/ الأمجاد، و(يمن اليوم) جدارٌ لم نستطع الظهور عليه، وما استطعنا له نقبا، لكن:

سنظل نحفر في الجدار

إما فتحنا ثغرة للنور

أو متنا على ظهر الجدار[2]

أما الوحدة اليمنية فهي مشروعٌ عظيمٌ في تاريخ اليمن المعاصر، وهي محل فخر واعتزاز، لكنها لم تؤتِ أكلها، ولم ينل أبناؤها من ثمارها، بل حُصر خيرها على جماعة السلب والنهب، والواقع خير شاهد على ذلك.

هم اليمانون في الساحات إن وثبوا فليس يحجزهم بحرٌ ولا جبلُ

(١) محمد أحمد فقيه، ديوان: تراتيل، تحت الطبع.

(٢) عبدالعزيز المقالح، ديوان: أبجدية الروح، (١٩٩٨م).

وإن كانت هذه الصورة واقعية يشهد عليها واقع اليمن اليوم، لكنه تصوير على النمط التقليدي ذي دلالة التهور، قد قال به الأجداد قديمًا: ﴿نحن أولو قوةٍ وأولو بأسٍ شديدٍ﴾ [النمل: ٣].

الباحث لا يرى في سفك الدماء، وزرع الطائفية محل فخر واعتزاز، محل الفخر اليوم يكمن في صناعة الإنسان علميًا وثقافيًا، وفي تقدم الأوطان سياسيًا واقتصاديًا، وفي قيم العدالة والحرية.

خاتمة البحث:

- من الصعب جدًا الإحاطة بالمفهوم الذي يضم بين كلماته معنى الوطن، فالوطن يختلف مفهومه عند من ينعم بالحقوق، والمنافع الوطنية، ولم يواجه الصعوبات، أو المنغصات في عيشه، عنه عند من يفكر ليل نهار في الحصول على الحاجات الأساسية من مأكل وملبس ومأوى، يختلف مفهوم الوطن في دولة لا تفكر في أساسيات عيش أبنائها، عنه في دولة تتحمل فيه الحكومة مسؤولية مستوى المعيشة، والبحث عن وسائل الرفاهية لأبنائها، بل يتغير مفهوم الوطن عند الإنسان من فترة إلى أخرى.
- مفهوم الوطن متعدد في شعر الفائزين بجائزة رئيس الجمهورية فهم شعراء أدركوا معنى الوطنية، وشعروا بقيمة الوطن، وجعلوا أشعارهم في خدمة قضايا بلادهم، لكن مهما تعددت المفاهيم سيظل الوطن هو المكان والتاريخ، والانتماء والهوية، هو الماضي والحاضر، والمستقبل، هو الإنسان، وهو الحنين والوفاء، والتضحية، وهو المكان الذي يمنح أبناءه حقوقهم، ويشعرهم بآدميتهم.

المصادر والمراجع:

إبراهيم أبو طالب. *النص والصدى*. دائرة الثقافة والإعلام الشارقة: (٢٠١٥م).

إبراهيم الأبياري. *الوطن في الأدب العربي*. المكتبة الثقافية، دار القلم: القاهرة، (١٩٦٢م).

إبراهيم مصطفى الدهون. المضامين الوطنية في شعر الدكتور أحمد السالم. جامعة الجوف، السعودية، *مشروع بحثي* رقم: (٣٢٧-٣٥).

إبراهم نمر موسى. تجليات الوطن والثورة في شعر كمال ناصر. *دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية*، ١(٣٦)، (٢٠٠٩ م).

ابن رشيق القيرواني. *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجليل: بيروت ج١، ط١، (١٩٧٢م).

ابن فارس. *مقاييس اللغة*. مج٤، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل: بيروت، ط١، (٢٠٠٢م).

ابن منظور. *لسان العرب*. مج١، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع: تونس، (د. ط)، (٢٠٠٥م).

الجاحظ. *الحنين إلى الأوطان*. دار الرائد العربي: بيروت، ط٢، (١٩٨٢م).

زين العابدين الضبيبي، ديوان. *توق إلى شجر البعيد*. دار الشروق: اليمن، ط٢، (٢٠١٧م).

عبدالعزيز الشريدة. صناعة المواطنة في عالم متغير؛ رؤية في السياسة الاجتماعية. *بحث مقدم للقاء الثالث عشر لقادة العمل التربوي*، الباحة، (١٤٢٦هـ).

عجيل جاسم النشمي. *التأصيل الشرعي للمواطنة والانتماءات القومية، والعرفية والدينية*. (د. ت)، (د. ط).

سعاد الحدابي. *قلوب لدى الأرصفة*. مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر: القاهرة، (٢٠٢١م).

كريم مهدي المسعودي. *الوطن في شعر السياب (الدلالة والبناء)*. دار صفحات للدراسة والنشر: دمشق، (٢٠١١م).

محمد أحمد فقيه. *ديوان: تراتيل*. تحت الطبع.

مليحة الأسعدي. ديوان: *هكذا حدثني الغيم*. مايا للنشر والتوزيع: الكويت، ط١، (٢٠٢٠م).

مها خير بك ناصر. مركزية الانتماء الوطني في شعر نزار قباني. *مجلة الموقف*، دمشق، (د. ت).

يحيى الحمادي. ديوان: *عام الخيام*. الناشر المؤلف: (٢٠١١م).

يحيى الحمادي. ديوان: *الخروج الثاني من الجنة*. الأمانة العامة لجائزة رئيس الجمهورية، ط١، (٢٠١٣م).

يحيى الحمادي. ديوان: *اليمن السعير*. مؤسسة شعراء على نافذة العالم للثقافة والإبداع: ط١، (٢٠١٩).

مآلات الشعر العربي. هل غادر الشعراء من متردم؟، *مجلة الفيصل*، ع٤٧٩-٤٨٠، (٣١أغسطس/ ٢٠١٦م). https://www.Alfaisalmag.com.